الملامح التعبيرية للنبر في القرآن الكريم

Expressive features of stress in the Noble Qur'an

درني حورية

جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر(الجزائر)

email: houria.derni@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال:01-06-2022 تاريخ القبول18-10-2022

ملخص:

عرف العرب ما للصّوت اللّغوي من وظيفة في معرفة معاني لغتهم، ولذلك كانوا شديدي العناية بهذا المبحث اللّغوي وقد بذلوا جهودا جبارة في سبيل إثرائه والاستفادة ممّا يقدمه هذا المستوى في مختلف الدّراسات، وقد كان للمشتغلين بالدّراسات القرآنية باعٌ عظيمٌ وحظٌ وافرٌ من هذه الجهود مستثمرين أهم النتائج التي توصلوا إليها في خدمة القرآن الكريم سواءً من ناحية أدائه أداءً صحيحا موافقا للُغة نزوله، أم من جهة تفسيره تفسيرًا لا يتنافى مع ما يوحي إليه من دلالات، حيث استعانوا بمختلف التلوينات الصوتية باحثين عن دورها في فهم المعاني القرآنية، وتناولوا بعض الظواهر الصوتية كالنبر مثلا للوقوف على الملامح التعبيرية التي توحي إليها، والدلالة التي ترمي إليها سعيا لفهم كتاب الله العظيم.

كلمات مفتاحية:ظواهر صوتية؛ نبر؛ ملامح تعبيرية.

Abstract:

The Arabs knew the function of the linguistic sound in knowing the meanings of their language, and therefore they were very interested in this linguistic topic and they made great efforts in order to enrich it and benefit from what this level offers in various studies. Which they have reached in the service of the Noble Qur'an, whether in terms of its correct performance in accordance with the language of its revelation, or in terms of its interpretation, an interpretation that does not contradict what it suggests of connotations. To find out the expressive features that suggest it, and the significance it aims at in an effort to understand the Great Book of God.

Keywords:
sound phenomena; stress expressive features.

1.مقدمة:

تفرّد القرآن العظيم بلغته التي تميزه عن باقي الأجناس الأخرى كالشعر والنثر وغيرها حتّ وإن كانتمن جنس اللغة العربية، فاجتمعت له جميع وجوه الإعجاز التي أظهرت بلاغته وبيانه، وبما أن مادته الأولى هي الأصوات شأن لغته كشأن جميع اللّغات، فإن أصواته اكتسبت دلالة أو بعدا دلاليا واضحاً، فكل صوت يتناسب مع موقف معيّن لا يمكن استبداله بآخر.

يقول حسين الصّغير:«انصبت عناية القرآن الكريم بالاهتمام في إذكاء حرارة الكلمة عند العرب وتوهج العبارة في منظار حياتهم ، وحدب البيان القرآني على تحقيق موسيقى اللّفظ في جمله، وتناغم الحروف في تركيبه، وتعادل الوحدات الصّوتية في مقاطعه، فكانت مخارج الكلمات متوازنة النبرات، وتراكيب البيان متلائمة الأصوات، فاختار لكلّ حالة مرادة ألفاظها الخاصّة التي لا يمكن أن تستبدل بغيرها، فجاء كلّ لفظ متناسبًا مع صورته الذهنية من وجه، ومع دلالته السّمعية من وجه آخر ، فالذي يستلذه السّمع، وتستسيغه النّفس ، وتقبل عليه العاطفة هو المتحقق في العذوبة والرّقة...»[1]

وتمتلك الأصوات في القرآن الكريم دلالتها في حالة إفرادها وكذا في حالة تركيبها، وإنّ التّنوع في دلالة الأصوات قد تنبّه له علماؤنا المهتمون بالدّراسات القرآنية، وخاصة علماء التفسير الذين حاولوا إحصاء مختلف المعاني التي توحي بها إلينا أصوات النّص القرآني ، للوصول إلى تفسيره تفسيرًا صحيحًا يتناسب مع السّياق الصّوتي الذي ورد فيه ، وكذا لأجل الكشف عن مظاهر إعجازه، فلكلّ صوت وظيفة يؤديها مرجعها إلى خاصية من خصائصه أو صفة من صفاته التي تميّزه، ولذلك يقول محمد محمد داوود:" فحين يُريد القرآن أن ينقل للنّاس صورة النّار على جهة التّخويف ، والإنذار ، وهي مهتاجة ،مغتاظة، غاضبة ، يختار الحروف الهادية إلى هذه المعاني التي تصوّر بجرسها هذا العنف ، وذلك الغضب، فالصّورة الصّوتية للحرف تشكّل المادة الأولى للقيم الخلافية..."[2]

---

[1]محمد حسين الصغير، 1420ه، 2000م، الصّوت اللّغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي ،لبنان، ص163.

[2]محمد محمد داوود، 1432ه، 2011م، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط1، دار جاد للنشر والتوزيع، ص73.

فكلّ صوت وُضع في المقام المعيّن الذي يُناسبه ، الذي لا يجوز استبداله بغيره ، وإلاّ لضعف المعنى وفسد، وفقد قوّته التي تكسبه إعجازه، وقد أدرك المفسّرون هذه الحقيقة وسعوا إلى البحث عن الدّلالات الكامنة وراء الأصوات مفردة كانت أم مركبة، بُغية الوصول إلى معاني النصوص القرآنية.

وفي ذلك نلمس مدى عناية دارسي القرآن الكريم ومفسريه بالجانب الصّوتي، وهذا يرجع إلى حرصهم على الأخذ بلغة القرآن صحيحةً سليمةً كما نزلت، بالإضافة إلى إدراكهم للعلاقة الوثيقة بين الأصوات ومعانيها الكامنة فيها، وهذه القضية الأخيرة هي التي أثارت اهتمام الدارسين من القدامى خصوصاً والمحدثين، وظلت هذه الزاوية الحساسة من البحث اللّساني محط أنظار أهل الإعجاز والبلاغيين للوصول إلى صميم الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

إنّ مراعاة النطق السليم لأصوات اللّغة، والأداء الصحيح للعملية الكلامية يسهل علينا وضوح الرسالة، وفهم مقصدية النصوص، ويعين على ذلك بعض القرائن الصّوتية التي تعد من القرائن اللّفظية التي تسهم في إبلاغ مقصدية الباث أو المخاطِب، ومن بين هذه القرائن والتلوينات الصوتية: النبر.

والسؤال المطروح:

كيف تجلت الملامح التعبيرية لقرينة النبر في دلالة النص القرآني؟

2.تعريف النبر:«النّبر في اللّغة: البروز والظّهور ومنه المنبر في المساجد ونحوها، وهذا المعنى العام ملحوظ في دلالته الاصطلاحية، إذ هو في الدّرس الصّوتي يعني: نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصور أوضح وأجلى نسبيا من بيئة المقطع التي تجاوره، ومعلوم أنّ الكلمة تتكوّن من سلسلة من الأصوات المترابطة المتتابعة التي يسلم بعضها إلى بعض، ولكن هذه الأصوات تختلف فيما بينها قوة وضعفا بحسب طبيعتها ومواقعها، فالصوت أو المقطع الذي ينطبق بصورة أقوى ممّا يجاوره يسمّ مقطعا منبورا (Stressed)، ويتطلّب النّبر عادة بذل طاقة في النّطق أكبر نسبيا، كما يتطلّب من أعضاء النّطق مجهودا أشدّ»[1]

[1]كمال بشر، 2000م، علم الأصوات، دط، دار غريب، القاهرة، ص512. 513

وعرّفه إبراهيم أنيس بأنّه:« نشاط جميع أعضاء النّطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أنّ جميع أعضاء النّطق تنشط غاية النّشاط»[1]

يقول بروكلمان: «في اللّغة العربية القديمة يدخل نوع من النّبر تغلب عليه الموسيقية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنّه يسير في مؤخرة الكلمة نحو مقدّمتها، حتّى يقابل مقطعا طويلا، فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل فإنّ النّبر يقع على المقطع الأول فيها»[2]

وعُرّف أيضا أنّه «نشاط فجائي يعتري أعضاء النّطق أثناء التّلفظ بمقطع ما من مقاطع الكلمة، ويؤدي هذا النّشاط إلى زيادة في واحد أو أكثر من عناصر المقطع الآتية: وهي المدّة، والشدّة، والحدّة» [3]

ويرى المستشرق الفرنسي" جاك كانتينو" أنّ النّبر هو:« الضغط على مقطع معيّن بزيادة العلو بالموسيقى، أو التّوتر أو المدّة أو عدد من هذه العناصر معًا، بالنّسبة إلى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها» وقد استخلص عبد الصّبور شاهين من هذا التّعريف أنّ للنّبر ثلاثة أشكال: النبر الموسيقي: إذا تمّ إبراز بعض أجزاء الجملة بمساعدة النّغمة، نبر التّوتر، ونبر الطّول وهو يرى أنّ على الرّغم من أنّ العرب القدماء لم يدرسوه كظاهرة فإنّهم قد حدّدوا أشكاله تحديدا علميا.[4]

وانطلاقا من هذه التّعريفات يمكننا أن نخلص إلى أن النبر هو نشاط عضوي يتم على مستوى الجهاز النطقي، عن طريق الضغط على أحد مقاطع السلسلة الصوتيةفي أثناء العملية الكلامية، فيميّزه عن غيره من المقاطع الأخرى.

---

[1]إبراهيم أنيس، 2003م، في اللّهجات العربية ، ط3، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة ، ص169 .

[2] كارل بوركلمان، دت، فقه اللّغات السامي، ترجمة: رمضان عبد التّواب، دط، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، ص45.

[3]محمد الأنطاكي، دت، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1،ط3، دار الشرق العربي، بيروت، ص22.

[4]يُنظر: عبد الصّبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، دت، دط، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص26.

3. **وظائف النبر:** «يؤدي النبر وظائف كثيرة في بناء اللّغة، وتركيبها النّحوي، والصّرفي والصّوتي والعروضي، والبلاغي وذلك فضلاً عن دوره في أداء الكلام وموسيقيته وتأثيره على نفس السّامع وتعبيره عن عواطف المتكلّم وانفعالاته»[1]

ومن هذه الوظائف:

أ.على المستوى الفونولوجي:

أنّ النّبر يقوم بدور الفرق بين الكلمات المتشابهة صوتيا في كلّ شيء إلاّ في النّبر، ففي اللّغة العربية عندما نوازن بين نطق ومعاني الكلمات الآتية:

(أرَقْ) اسم على(فَعَلْ) بالنّبر على المقطع الأول و(أرَقْ) اسم تفضيل على(أفْعَلْ) بالنّبر على المقطع الأخير، ومن ذلك (أسَدْ) اسم تفضيل من السّداد، على(أَفْعَلْ) بالنّبر على المقطع الأخير(سد)، و(أسَدٌ) للحيوان المفترس بالنّبر على المقطع الأول.[2]

ب.على المستوى المورفولوجي أو الصرفي:

النّبر من المورفيمات الصّرفية المهمة، فهو يحدّد القيّم الصّرفية، ويعيّن صيغة الكلمة، فهو يفرّق بين صيغة الاسم وصيغة الفعل في اللّغة.

ج. على المستوى النّحوي:

يقوم النّبر في هذا المستوى بوظائف أهمها: الربط بين أجزاء الجملة أو المنطوق أو الدّلالة على الأهمية النسبية لأجزاء الكلام، والإشارة إلى نوع الجملة (استفهام، أمر، إخبار...الخ)، هذا إلى جانب قيامه بتحديد أجزاء المنطوق والإشارة إلى دور كلّ جزء أو إلى إعرابه في الجملة.

د. على المستوى العروضي:

يقوم إيقاع الشّعر(الفتري والتّكرري) على أسين مهمين: أحدهما: الكم الزّمني، والآخر: النّبر، ويعتبر بعضهم أنّ العروض العربي من النّوع الذي يقوم على كلّ من الأساسين (الكمي والنّبري)، هذا ما إلما للنّبر من وظائف أخرى كثيرة في المستويات

---

[1]عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، 1430ه، 2009معلم الصوتيات، دط، مكتبة الرشد، بيروت، ص333.

[2] يُنظر: عبد العزيز علام وآخرون، علم الصوتيات، ص334.

الأخرى العديدة، مثل: صنع التّزمين الملائم، وتنويع التّنغيم في المستوى الصّوتي، ومثل إشراق الكلمة ووضوحها، والتّعبير عن عواطف المتكلّم وانفعالاته، وصنع الإيقاع المناسب للمعاني في المستوى البلاغي.[1]

4.أحكام النّبر:

«لا بدّ من التّمييز بين نوعين اثنين من النّبر في اللّغة الواحدة، فهناك: نبر الإلحاح (accent d' insistance) الذي لا يرتبط بمقطع معيّن من الوحدة النّبرية، بل يمكن أن يقع في جميع المقاطع، وهذا ما يعطيه وظيفة انفعالية أو تعبيرية، وهناك النّبر الخاص بطبيعة اللّغة، وهو لا يرتبط بحالة انفعالية أو تعبيرية، بل يخضع لقواعد عامة تختص باللّغة ذاتها»[2]

ويحسن بنا قبل أن ندع الحديث عن موضوع النّبر الإشارة إلى بعض الملاحظات، منها:

-إنّ الدّارس قد يصعب عليه ملاحظة النّبر وهو يعيش في محيط لغوي متجانس، لكنّه يرى الاختلاف واضحا حين يستمع إلى نطق من بيئة أخرى كما هو الشأن عند سماعنا ونحن في بلدان المشرق العربي نطق العربية من بعض أبناء المغرب العربي، أو من بعض المسلمين من غير العرب، أو بعض المستعربين الغربيين، ويمكن أيضا للدّارس أن يلمح أثار النبر في العربية حين ينطق كلمات أو جملا في تراكيب مختلفة، ويمكن الاستعانة بالقواعد التي أشرنا إليها في فهم ما يحدث من تغير في مواضع النبر في تلك الكلمات أو التراكيب.

-إنّ إغفال علماء السّلف لموضوع النّبر لا ينبغي أن يجعلنا نخرج بنتيجتين أحسب أنّ كلتيهما غير صحيحة: الأولى: عجزهم عن إدراك هذه الظاهرة،، والثانية: عدم وجودها في العربية أصلاً فكلّ ما في الأمر هو أنّ النّبر في العربية من النّوع غير التّمييزي، أي لا تأثير له

[1] يُنظر: عبد العزيز علام وآخرون، المرجع نفسه، ص336.

[2] بسام بركة، دت، علم الأصوات العام:أصوات اللّغة العربية، دط، مركز الإنماء القومي، بيروت(لبنان)، ص101.

في المعنى، وأنّه وإن كان يسهل على السّامع تمييزه، فإنّه يصعب في الوقت نفسه على الدّارس تحديده وتقعيده»[1]

فالحقيقة أنّ النّبر قد كان في اللّغة العربية القديمة، غير أنّه قد عبّر عنه بمصطلحات أخرى، أو أشير إليه بين ثنايا بحوثهم.

5. أنواع النّبر:

أ. نبر الجملة: النبرة الرئيسة التي تأخذها إحدى كلمات الجملة بوصف الجملة وحدة كلامية واحدة، وتكون هذه الكلمة عادة أكثر الكلمات أهمية في رأي المتكلّم.

ب. نبر الكلمة: نبرة رئيسة يأخذها أحد مقاطع الكلمة حين تنطق الكلمة في سياق لغوي، فإنّ كلمة واحدة في القول تأخذ نبرة رئيسية تدعى نبرة الجملة، وتدعى نبرة الكلمة أيضا نبرة مفرداتية.[2]

وهذا ما وصفه تمام حسان بالتقسيم من حيث القوة والضّعف حيث قال:« ينقسم النّبر بحسب "القاعدة" من حيث القوة والضّعف إلى قسمين:

-**النّبر الأولي:** ويكون في الكلمات والصّيغ جميعاً لا يخلو منه واحدة منها.

-**النّبر الثانوي**: وهو يكون في الكلمة أو الصّيغة الطويلة نسبيا بحيث يمكن لهذه الكلمة أن تبدو للأذن كما لو كانت كلمتين، أو بعبارة أكثر دقة، عندما يشتمل الكلمة على عدد من المقاطع يمكن أن يتكون منه وزن كلمتين عربيتين» [3]

6. الملامح التعبيريةللنبر ودورها في فهم دلالة النصوص القرآنية:

يؤدي النبر وظيفة دلالية في فهم النصوص القرآنية، ولذلك لا يمكن تجاوز هذا المبحث الهام باعتبار أن لغة القرآن الكريم هي لغة ذات طبيعة صوتية، والأصل فيها التلقي كما نزل الوحي عن طريق التّلقي، فقد اتّسم القرآن منذ نزوله بطبيعته

---

[1] غانم قدوري الحمد،2004م، المدخل إلى علم أصوات العربية، 1425هـ، ط1،دار عمار، عمان(الأردن)، ص241.

[1]محمد علي الخولي، 1402هـ، 1982م، معجم علم الأصوات، ط1، مطابع الفرزدق، الملز(المملكة العربية السعودية)، ص172.

[2] تمامحسان،1979 م، اللغةالعربيةمعناهاومبناها،ط2،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب،القاهرة،ص172.

الصّوتية، وهو لم ينزل مدونًا في صحيفة أو كتاب وذلك لقوله تعالى:﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ [الأعلى: 06] وقال أيضا:﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[القيامة:16،18] ، وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن تلقي القرآن كان مشافهة، كما أن تبليغه أيضا كان تبليغا صوتيا شفهيا إلى الصحابة، ثم إلى كافة الناس، فقد تلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة صوتية وتلقوه منه بأسماعهم، وحفظوه في صدورهم.[1]

.قوله تعالى: ﴿**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾[القصص:24]تأتي كلمة (فسقى) على معنيين وذلك تبعا للموضع الذي وقع فيه النبر، فقد تكون بمعنى (الفسق) عندما ننبر القاف و «(فَسَقَ): الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي :الفِسق، وهو الخروج عن الطاعة»[2]

وهو أيضا كما عند الراغب الأصفهاني:« خرج عن حجر الشّرع... وهو أعم من الكفر، والفسق يقع بالقليل من الذّنوب وبالكثير لكن تعورف فيما كان كثيرا، وأكثر ما يقال: الفاسق لمن التزم حكم الشرع وأقرّ به، ثمّ أخلّ بجميع أحكامه أو ببعضه»[3]

«وفُسوقا: فجر، وخرج عن الحق، وترك امتثال أمر الله، ورجل قُسْق وفِسِّيق: دائم الفسق»[4]

أمّا: إذا نبرنا الكلمة عند الفاء تصبح "سَقَى" وهو« إشراب الشيء الماء وما أشبهه، تقول: سقيته بيدي أسقيته سقيا»[5]

---

[1]ينظر: أحمد البايبي، 2012،القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، دط، عالم الكتب الحديث،الأردن، ص 176.

[2]أحمد بن فارس، 1399ه، 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، ج3، دار الفكر،ص502

[3]الراغب الأصفهاني، 1430ه، 2009م، مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط4، دار القلم، دمشق، ص636.

[4]مجد الدين محمد الفيروزابادي، 1416ه، 1996م، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، ج4، ط3،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ص192.

[5]أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص84.

وإلى هذا المعنى ذهب المفسرون، حيث ذكر أبو حيان في البحر المحيط: «"فسقى لهما" أي سقى غنمهما لأجلهما... وروي أنه زاحمهم على الماء حتّى سقى لهما»[1]وذكر القرطبي: «فلمّا أراد موسى أن يسقي لهما زحم النّاس وغلبهم على الماء حتّى سقى»[2]

وكذلك ذكر أبو السعود:«﴿**فَسَقى لَهُما**﴾ روي أن الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله إلا سبعة رجال، وقيل: عشرة، وقيل: أربعون، وقيل: مائة. فأفله وحده مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع، ولعله عليه الصلاة والسلام زاحمهم في السقي لهما، فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عليه الصلاة والسلام عن ذلك. فإن الظاهر أنه عليه الصلاة والسلام غب ما شاهد حالهما سارع إلى السقي لهما. وقد روي: أنه دفعهم عن الماء إلى أن سقى لهما، وقيل: كانت هناك بئر أخرى عليها الصخرة المذكورة. وروي أنه عليه الصلاة والسلام سألهم دلوا من ماء فأعطوه دلوهم، وقالوا: استق بها، وكان لا ينزعها إلا أربعون فاستقى بها » [3]

.قوله تعالى:﴿ **بأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا**﴾[الزلزلة من الآية: 05]، فالنبر وقع على اللام فأصبح من الوحي فلو لم تنبر اللام في (لها) لأصبحت كلمة واحدة بمعنى "أوحالها"، أي من "أوحال" والوحل:« الوَحْلُ: بالتّحريك: الطين الرّقيق الذي ترتطم فيه الدّواب والوَحْلُ بالتّسكين: لغة رديئة والجمع "أوحال"»[4]

«واستوحل المكان: صار فيه الوحل، والموحِلُ: موضع الوحل، ووحِلَتْ الدّواب تَوْحَلُ: وَقَعتْ في الوَحْل» [5]

---

[1]محمد أبو حيان الأندلسي، 1413ه، 1993م،البحر المحيط، ط1، ج7،دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان)، ص108.

[2]محمد القرطبي، 1427ه، 2006م ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،)، ج16، ط1، بيروت (لبنان)، ص258.

[3]محمد أبو السعود العمادى، دت،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان)، ص8.

[4]جمالالدين بنمنظور،1414هلسانالعرب، مادة (وحل)، ج11، ط3، دار صادر، بيروت، ص723.

[5] أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، ج6، ص92.

أمّا: "أوحى" من "الوحي" وهو: «الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي، وكلّ ما ألقيته على غيرك ... وفي التنزيل﴿ **وأوحى ربك إلى النحل**﴾ وفيه: ﴿**بأنّ ربّك أوحى لها**﴾ أي إليها، فمعنى هذا أمرها»[1]

وذكر الراغب الأصفهاني: «أصل الوحي: الإشارة السّريعة، ولتضمّن السّرعة قيل: أمر وَحْيٌ، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرّمز والتّعريض، وقد يكون بصوت مجرّد عن التّركيب، وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكتابة، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريّا: ﴿**فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا**﴾ [مريم : 11]فقد قيل: رمز. وقيل: أشار، وقيل: كتب، وعلى هذه الوجوه قوله :﴿**وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً**﴾[الأنعام : 112]، وقوله :﴿**وَإِنَّ الشَّياطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ**﴾[الأنعام : 121]فذلك بالوسواس المشار إليه بقوله :﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنَّاسِ**﴾[الناس : 4]، وبقوله عليه الصلاة والسلام» :وإنّ للشّيطان لمّة، «ويقال للكلمة الإلهيّة التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه: وحي، وذلك أضرب حسبما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿**وَما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً...**﴾»[2]

يقول ابن فارس في المقاييس:«وحى (الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان،وأوحى الله تعالى ووحى .قال :وحى لها القرار فاستقرت»[3].

وفسرها ابن عطية الآية بقوله:« الباء باء السبب. وقال ابن عباس، وابن زيد، والقرطبي: المعنى: أوحى إليها، وهذا الوحي -على هذا التأويل- يحتمل أن يكون وحي إلهام، ويحتمل أن يكون وحيا برسول من الملائكة، وقد قال الشاعر:

[1]جمال الدين بن مظور، لسان العرب، ، مادة (وحي)، ج15، ص379.

[2]الراغب الأصفهاني، 1430ه،مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط4، دار القلم، دمشق، ص858.

[3]أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة وحى، ج6، ص93.

أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت.

والوحي في كلام العرب: إلقاء المعنى إلقاء خفيا، وقال بعض المتأولين: "أوحى لها "معناه: أوحى إلى ملائكته المقربين أن تفعل في الأرض تلك الأفعال، وقوله تعالى: "لها" بمعنى: من أجلها، ومن حيث الأفعال فيها فهي لها.»[1]

.**قوله تعالى:﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: 25]**، النبر هنا وقع على حرف (الكاف) فحدث فيه نوع من الضغط لتمييزه عن بقية المقاطع، فلو ضغطنا على (الواو) أصبحت الواو والفعل كلمة واحدة، وهي الفعل (وكف) ومعناه« وكف الدمع والماء وكفاووكيفاووكوفاووكفانا :سال، ووكفت العين الدمع وكفاووكيفا :أسالته»[2]

وجاء في الصحاح:« وكفالبيت وكفاووكيفاوتوكافا، أي قطر، وأوكف البيت لغة فيه، وَكَفَالبيت[3]»

«(وكف)الواو والكاف والفاء: أصل صحيح ليست كلمه على قياس واحد .فالوكفوكف البيت، وهو الوكيف أيضا، واستوكف :استقطر،والوكاف لغة في الإكاف، والوكف: الإثم والعيب .والتوكف :التوقع، ولعله أصله انتظار الوكف، والوكف :مطمئن من الأرض،ووكف الجبل: أسافله قال:

يعلو دكاكيك ويعلو وكفا»[4]

أمّا:(كفى) بمعنى الكفاية فهي كما ورد عند الأصفهاني: «الكفاية: ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر. قال تعالى :﴿ **وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ**﴾[الأحزاب:25]،﴿ **إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾[الحجر : 95]،وقوله :﴿و وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[النساء : 79] قيل:

---

[1]عبد الحق بن عطية الأندلسي، 1422ه، 2001م ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص511

[2] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (وكف)، ج9، ص662.

[3]إسماعيل بن حماد الجوهري، 1430ه، 2009م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دط، دار الحديث، القاهرة، ص1266.

[4]أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(وكف)، ج6، ص139.

معناه :كفى الله شهيدا، والباء زائدة. وقيل: معناه: اكتف بالله شهيدا، والكفية من القوت: ما فيه كفاية، والجمع :كفى، ويقال: كافيك فلان من رجل، كقولك: حسبك من رجل »[1]

وإلى هذا ذهب أهل التفسير حيث قال ابن عاشور:« (كفى) بمعنى أغنى، أي أراحهم من كلفة القتال بأن صرف الأحزاب، و(كفى) بهذا المعنى تتعدى إلى مفعولين يقال: كفيتك مهمك وليست هي التي تزاد الباء في مفعولها فتلك بمعنى: حسب، وفي قوله ﴿**وكَفى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ** ﴾ حذف مضاف، أي كلفة القتال، أو أرزاء القتال، فإن المؤمنين كانوا يومئذ بحاجة إلى توفير عددهم وعددهم بعد مصيبة يوم أحد ولو التقوا مع جيش المشركين لكانت أرزاؤهم كثيرة ولو انتصروا على المشركين...[2]»

يقول الزمخشري:« ﴿**وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ**﴾ وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وأنزل الذين ظاهروا الأحزاب من أهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم » [3]

.قوله تعالى:﴿ **فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:181]، وقد تحقق النبر هنا على حرف (الباء)، فكان المقصود هو الفعل (بدّل)، أمّا لو نبرنا (الدّال) فهنا يقع اللّبس ويتوهم السامع أنّ (بدّله) تتكون من كلمتين الفعل (بدّ) والجار والمجرور (له)، والفعل (بدّ) فيه «الباء والدال في المضاعف أصل واحد، وهو التفرق وتباعد ما بين الشيئين .يقال: فرس أبد، وهو البعيد ما بين الرجلين. وبددت الشيء: إذا فرقته. »[4]

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص717.

[2]محمد الطاهر بن عاشور، 1984م.التحرير والتنوير، ج21، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، ص310.

[3]جار الله أبو القاسم الزمخشري،1407ه، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في عيون الأقاويل، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، ص853 .

[4]أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مادة(بدّ)، ج1، ص176.

وجاء في لسان العرب: «(بدد)التبديد :التفريق؛ يقال: شمل مبد، وبدد الشيء فتبدد: فرقه فتفرق،وتبدد القوم إذا تفرقوا .وتبدد الشيء: تفرق، وبده يبده بدا: فرقه، وجاءت الخيل بداد أي متفرقة متبددة»[1]

أمّا: **(بدّله)** «الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يقال: هذا بدل الشيء وبديله .ويقولون بدلت الشيء: إذا غيرته وإن لم تأت له ببدل »[2]

يقول الراغب الأصفهاني:«الإبدالوالتَّبديلوالتَّبَدُّلوالاستبدال :جعل شيء مكان آخر، وهو أعمّ من العوض، فإنّ العوض هو أن يصير لك الثاني بإعطاء الأول، والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدله، قال تعالى :﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ**﴾[البقرة : 59]، ﴿**وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً**﴾[النور : 55]وقال تعالى :﴿**فَأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئاتِهِمْ حَسَناتٍ**﴾[الفرقان : 70]»[3]

وهذا هو المعنى المقصود، فقد ذهب أهل التّفسير هذا المذهب إذ ذكر أبو حيان في تفسير الآية: «الظاهر أن الضمير يعود على الوصية بمعنى الإيصاء، أي: فمن بدل الإيصاء عن وجهه إن كان موافقا للشرع، من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه سماع تحقق وتثبت..»[4]

يقول ابن عاشور:« والمراد من التبديل هنا الإبطال أو النقص؛ وما صدق "من بدله" هو الذي بيده تنفيذ الوصية من خاصة الورثة كالأبناء، ومن الشهود عليها بإشهاد من الموصي أو بحضور موطن الوصية، كما في الوصية في السفر المذكورة في سورة المائدة ﴿**لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا ولَوْ كانَ ذا قُرْبى ولا نَكْتُمُ شَهادَةَ اللَّهِ إنّا إذًا لَمِنَ الآثِمِينَ**﴾[المائدة: ١٠٦]فالتبديل مستعمل في معناه المجازي، لأن حقيقة التبديل جعل شيء في مكان شيء آخر، والنقض يستلزم الإتيان بضد المنقوض وتقييد التبديل بظرف "بعد ما سمعه"،

[1] جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (بدد)، ج3، ص77.

[2] أحمد بن فارس،مقاييس اللغة، مادة(بدل)، ج1، ص210.

[3] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص111.

[4] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج2، ص26.

تعليل للوعيد، أي: لأنه بدل ما سمعه وتحققه، وإلا فإن التبديل لا يتصور إلا في معلوم مسموع، إذ لا تتوجه النفوس إلى المجهول» [1]

.قوله تعالى:﴿ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:16]، لو أوقعنا النبر على حرف (الفاء) لأصبحت (فقست) كلمة واحدة وهي الفعل (فقس) ومعناه « فقس الرجل وغيره يفقسفقوسا :مات، وقيل: مات فجأة،وفقس الطائر بيضه فقسا :أفسدها »[2]

«فَقَسَفُقوساً، أي مات .وفَقَسَ الطائر بيضه فَقْساً، أي أفسده»[3]

«فقس يفقسفقوسا :مات، والطائر بيضه: كسرها وأخرج ما فيها، أو أفسدها، والحيوان: قتلهوعن الأمر: وقمه، وفلانا: جذبه بشعره سفلا، وهما يتفاقسانيفقسفُقوسا:مات،والطائرُ ببيضها كسرها وأخرج ما فيها، أو أفسدها »[4]

أمّا إذا نبرنا (الفاء) أصبحت (فقست) مكونة من كلمتين هما (الفاء) حرف عطف و(قست) من الفعل (قسا) ومعناه «قسا قلبه قسوة قساوةوقساء بالفتح والمد، وهو غلَظ القلب وشدَّته»[5]

وجاء في لسان العرب:« القسوة: الصلابة في كل شيء، وحجر قاس: صلب. وأرض قاسية: لا تنبت شيئا. وقال أبو إسحق في قوله تعالى :﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ﴾؛ تأويل

[1]محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص152

[2]جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مادة (فقس)، ج6، ص163.

[3]إسماعيل بن حماد الجوهري، 1430ه، 2009م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دط، دار الحديث، القاهرة، ص895.

[4]مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروآبادي،1426ه، 2005م، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان)، ص563.

[5]إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص938.

قست في اللغة غلظت ويبست وعست، فتأويل القسوة في القلب ذهاب اللين والرحمة والخشوع منه»[1]

وهو المعنى الذي ذهب إليه المفسرون، كما ذهب إلى ذلك أبو حيان فقال أي «صَلُبَتْ بِحَيْثُ لا تَنْفَعِلُ لِلْخَيْرِ والطّاعَةِ»[2]

قال ابن عطية:" قست" معناه: صلبت وقل خيرها وانفعالها للطاعات وسكنت إلى معاصي الله تعالى ففعلوا من العصيان والمخالفة ما هو مأثور عنهم»[3].

والأثر المعنوي عن اختلاف نبر الكلمة كثير في غير ما موضع من القرآن الكريم وأمثلته كثيرة ومن ذلك أيضا:

.في قوله تعالى:« **إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ»[البقرة من الآية:260]** الالتباس يقع في نبر الباء حيث يصبح المعنى أو المنطوق (ربّ يا الذي يحيي ويميت) وكأنه نداء.

.في قوله تعالى:« **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»**[العلق:1] هنا أيضا يقع الالتباس حين ننبر الكاف فيصبح المعنى وكأنّه (اقرأ باسم رب كالذي خلق) يعني بعدما كان المعنى هو (اقرأ باسم الله الخالق)، يصبح المعنى (إقرأ باسم الله الذي يشبه الخالق) تعالى الله عن ذلك.

.في قوله تعالى:« لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»[الأنعام:127]، نبر المقطع الثاني (هم) يجعل اللام في (لهم) حرف توكيد يعني (هم دار السلام)، أمّا إذا نبرنا اللام تصبح الكلمة جار ومجرور يعني (لديهم)وهذا التفسير ذهب إليه أبو حيان: «أيْ: لهم الجنة، و(السَّلامُ) اسم من أسماء الله - تَعالى – كما قيل في الكعبة بيت الله»[4]

[1]جمال الدين بن منظور، ابن منظور، لسان العرب،مادة (قسا)، ج15، ص180، 181.

[2] محمد أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج8، ص222.

[3]عبد الحق بن عطية. المحرر الوجيز،ج5، ص264.

[4]محمد أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط،ج4، ص222.

وقد أدت قرينة النّبر وظيفة ملموسة في التّفريق بين الكلمات المتشابهة والمتقاربة كتابة والمتباينة نطقا، وهو أمر يغفل عنه الكثيرون، وتزداد المسألة سوءا عندما يقع في هذا اللّحن الخفي أكابر القراء ومجودو القرآن الكريم، فهذا يتوقف عليه صحة المعنى أو سقمه.

7. **خاتمة:**

يعدّ المستوى الصوتي البنية التحتية التي تبنى عليها أية لغة، إذ يمثّل رموزها التي تكوّن نظامها، فالكلام البشري يتكون من سلسلة من الأصوات التي تحمل في كيانها معاني وعناصر دالة، وعلم الأصوات يدرس الصّوت اللّغوي من حيث نطقه، وتنقلّه حتّى يصل إلى أذن السّامع، وصولاً إلى كيفية تأويله في الذهن، وبالتالي فإنّ الوحدات الصّوتية تؤدي وظائف متنوعة تختلف باختلاف طبيعة العلاقة بين الصّوامت والصّوائت وكيفية أدائها وتلقيها من طرف المستمع وقد تفطن المفسّرون لهذه القضية، وحاولوا إحصاء مدلولات الأصوات في القرآن، سواءً أكانت مفردة أم مركبة، ويعد النبر من أهم الظواهر والتلوينات الصوتية التي تُعين على فهم الاختلافات الدلالية وتمييز الفروق اللّغوية في النّص القرآني، وبالتالي فإن مدلول المقاطع الصوتية يتحدد وفقا لكيفية أدائها.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم.

1. إبراهيم أنيس، 2003م، في اللّهجات العربية ، ط3، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة .
2. أحمد البايبي، 2012،القضايا التطريزية في القراءات القرآنية دراسة لسانية في الصواتة الإيقاعية، ج1، دط، عالم الكتب الحديث،الأردن.
3. أحمد بن فارس، 1399ه، 1979م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دط، ج3، دار الفكر.
4. إسماعيل بن حماد الجوهري، 1430ه، 2009م، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، دط، دار الحديث، القاهرة.
5. بسام بركة، دت، علم الأصوات العام:أصوات اللّغة العربية، دط، مركز الإنماء القومي، بيروت(لبنان).
6. تمامحسان،1979 م، اللغةالعربيةمعناهاومبناها،ط2،الهيئةالمصريةالعامةللكتاب،القاهرة.
7. جار الله أبو القاسم الزمخشري،1407ه، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل في عيون الأقاويل، دط، دار الكتاب العربي، بيروت.
8. جمالالدين بنمنظور،1414ه، لسانالعرب، مادة (وحل)، ج11، ط3، دار صادر، بيروت.
9. الراغب الأصفهاني، 1430ه، 2009م، مفردات ألفاظ القرآن،تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط4، دار القلم، دمشق.
10. عبد الحق بن عطية الأندلسي، 1422ه، 2001م ،المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
11. عبد الصّبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللّغة الحديث، دت، دط، مكتبة الخانجي،القاهرة.
12. عبد العزيز علام وعبد الله ربيع محمود، 1430ه، 2009معلم الصوتيات، دط، مكتبة الرشد، بيروت.

13. غانم قدوري الحمد،2004م، المدخل إلى علم أصوات العربية، 1425ه، ط1،دار عمار، عمان(الأردن).
14. كمال بشر، 2000م، علم الأصوات، دط، دار غريب، القاهرة.
15. مجد الدين محمد الفيروزابادي، 1416ه، 1996م، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي النجار، ج4، ط3،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.
16. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروآبادي،1426ه، 2005م، القاموس المحيط، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت (لبنان).
17. محمد أبو السعود العمادى، دت،إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج7، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (لبنان).
18. محمد أبو حيان الأندلسي، 1413ه، 1993م،البحر المحيط، ط1، ج7،دار الكتب العلمية، بيروت(لبنان).
19. محمد الأنطاكي، دت، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، ج1، ط3، دار الشرق العربي، بيروت.
20. محمد الطاهر بن عاشور، 1984م.التحرير والتنوير، ج21، دط، الدار التونسية للنشر، تونس.
21. محمد القرطبي، 1427ه، 2006م ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،)، ج16، ط1، بيروت (لبنان).
22. محمد حسين الصغير، 1420ه، 2000م، الصّوت اللّغوي في القرآن، ط1، دار المؤرخ العربي ،لبنان.
23. محمد علي الخولي، 1402ه، 1982م، معجم علم الأصوات، ط1، مطابع الفرزدق، الملز(المملكة العربية السعودية).
24. محمد محمد داوود، 1432ه، 2011م، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ط1، دار جاد للنشر والتوزيع.
25. **<u>الكتب المترجمة</u>**:
26. كارل بروكلمان، دت، فقه اللّغات السامي، ترجمة: رمضان عبد التّواب، دط، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية.